برنامج أنوار كاشفة **سفر الجامعة** **الحلقة الثانية**

أهلا ومرحبا بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكدّ أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وبلا معنى.

تأملنا في اللقاء السابق بشعار سفر الجامعة: « **باطل الأباطيل الكل باطل**» أي أن كل أمور الحياة المادية لن تشبع نفوسنا، ولن تعطي لحياتنا معنىً. وتحدّث سليمان الحكيم عن عدم فائدة كل التعب، وعدم استطاعتنا تبديل سنن الحياة والطبيعة. وأن الكلام يقصر إذ أننا لا نستطيع أن نعرف كل شيء.

هل تندهش مستمعي عندما ترى شيئاً جديداً؟ فأنا مثلاً كلما أركب طائرة الركّاب الضخمة أندهش من عظمتها، وكيف تطير على علوٍ مرتفع وهي تحمل مئات الركاب، مع حقائبهم الثقيلة. ثم تقطع المسافات البعيدة في ساعات محدودة. وهناك الحاسوب الأليكتروني وغيره من الاختراعات المدهشة. لكن الحقيقة أن كل هذه الاختراعات، لم تخلق شيئاً جديداً. ففكرة الطيران كانت موجودة منذ القديم، لكن أتى من أستطاع أن يحيلها إلى حقيقة واقعة. وكذلك الحاسوب الاليكتروني الذي يساعدنا على حفظ المعلومات، ويجعلنا نتّصل بالعالم الخارجي ونستمد منه المعلومات، وغيره الكثير من الاختراعات.

ولهذا نجد سليمان الحكيم يكتب قائلاً: **« ما كان فهو ما يكون والذي صُنع فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد. إن وُجد شيء يُقال عنه انظر. هذا جديد. فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا»** (الجامعة١:٩و١٠). فهل هناك من جديد يا ترى في هذه الاختراعات التي نراها؟ إن الله العلي القدير وضع بين أيدينا مواداً كبرى وطاقات هائلة. وفي نفس الوقت جعل في عقولنا الذكاء الذي نستطيع استخدامه لتطوير وتصنيع هذه المواد والطاقات. إن كل الاختراعات المدهشة التي نراها، ما هي إلا حصيلة الذكاء البشري في استخدام ما وضعه الله في الخليقة. أليس كذلك يا صديقي؟

جيل يمضي وجيل يأتي، أناس يموتون وأناس يولدون، هذه هي سنّة الحياة. والذين يموتون سرعان ما تنتهي آثارهم، وينساهم الناس. وكذلك نحن سيأتي يوم نموت فيه وتنسانا الأجيال المقبلة. اللّهم إلا إذا قمنا بعمل عظيم أو اختراع يخلّدنا الناس عليه، ويكتبون إسمنا في صفحات التاريخ. ولقد عبّر سليمان الحكيم عن هذا الوضع بالقول: **« ليس ذكرٌ للأولين. والآخرون أيضاً الذين**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

سيكونون لا يكون لهم ذكرٌ عند الذين يكونون بعدهم» (الجامعة١:١١). نلاحظ هنا أن سليمان الحكيم مازال يتابع لهجة القنوط واليأس التي بدأ بها هذا الأصحاح، وكأنه يؤكد عدم وجود معنى لحياتنا. فعندما لا يكون هناك جديد تحت الشمس، وعندما يكون مصيرنا الموت، ولا يعود أحد يذكرنا في المستقبل، فما المعنى من حياتنا؟ وهل هناك شيء أسمى علينا أن نكتشفه لكي نعرف معنى الحياة الحقيقي؟ ونحصل في نفس الوقت على الاكتفاء والسعادة؟

هنا يصل سليمان الحكيم إلى محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات، وحل المعضلة التي طرحها، وهي معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان. أنه بالرغم من حصول الإنسان على الغنى والشهرة، وكل الأمور المادية، واكتسابه العلم، وتمتعه بكل ما يريد، مازال يحس بالفراغ والإحباط في نفسه. ولهذا نراه يكتب قائلاً: **« أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم. ووجّهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عُمل تحت السموات. هو عناءٌ رديءٌ جعلها الله لبني البشر ليَعنُوا فيه. رأيت كل الأعمال التي عُملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح»** (الجامعة١:١٢-١٤). يحاول سليمان الحكيم حل المعضلة التي ذكرناها عن طريق الحكمة أي الفلسفة. إذ أعلن أنه « **وجّه قلبه للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عُمل تحت السموات».** لكن يبدو أن الفلسفة تلوم الله على الوضع الذي يعاني منه البشر. ولهذا عاد وكرر شعار سفر الجامعة المشهور: « **الكل باطل وقبض الرّيح».**

استنتج سليمان الحكيم إذن عن طريق الفلسفة أنه: **« هو عناء رديء جعلها الله لبني البشر ليعنوا فيه».** فهل هذا صحيح يا ترى؟ وهل أن الله هو الذي سبّب هذا العناء لبني البشر؟ وهل من المنطقي أن نلوم الله ونردد مع سليمان الحكيم: **« رأيت كل الأعمال التي عُملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح»؟** علينا أن نذكر هنا قبل أن نجيب عن هذه التساؤلات، أن سليمان الحكيم عاد واعترف في نهاية الفصل الأول فشل الحكمة أو الفلسفة في حل معضلة الإنسان، وهو ما سنبحثه في اللقاء القادم. لكن علينا أن نجيب أولاً عن هذه التهمة التي يرددها الكثيرون، أن الله هو السبب في معاناتنا وعذابنا.

لو عدنا إلى بداية الخليقة لوجدنا أن الله خلق الإنسان كاملاً وذا إرادة حرة، ووضعه في الجنّة. ودعاه لكي يتسلّط على الطبيعة والحيوان، وأن يأكل من كل النباتات والأثمار ولحوم الحيوانات، وأن يعيش بسعادة وهناء. لكن حصل ويا للأسف أمرٌ بدّل هذا الوضع، وكان السبب في معاناة الإنسان. وكما تخبرنا كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس، أن الإنسان الأول ممثلاً بأبوينا الأولين آدم وحواء، عصى أوامر الله، وأكل من الشجرة التي أوصاه الله أن لا يأكل منها. وكانت النتيجة سقوط الإنسان في العصيان.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

وعندما سقط الإنسان في العصيان، طرده الله من الجنّة، وحكم عليه بالموت أي الانفصال الروحي معه أولاً، ثم بالموت الجسدي أي بانفصال الجسد عن الروح. وفقد الإنسان السعادة التي كان يتمتع بها في الجنّة، وصارت حياة الإنسان بالتالي بلا معنى. وعندها أصبح الكثيرون يلومون الله، بدل أنفسهم.

لكن الحقيقة أن الأمر لم ينته هنا، لأن الله ولفرط محبته لنا، أعد خطّة لإنقاذنا من هذا الوضع المؤلم. لهذا أرسل المخلّص المسيح لكي يحررنا من عبودية الخطيئة التي ورثناها، ويعيدنا إلى الشركة الروحية معه. وليس هذا فحسب بل ليحلّ السلام الحقيقي في قلوبنا، ويُدخلنا إلى الجنّة في الحياة الأبدية.

ألا ترغب مستمعي أن تنتهي من معاناتك؟ من الإحباط واليأس والفشل؟ وأن تكتشف معنى الحياة الحقيقي؟ تعال إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح، الذي وحده يقدر أن يحررك من قيود الخطيئة، ويهبك الحياة الروحية الجديدة، حيث تتمتع بالسلام القلبي والسعادة الحقة.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service